إثنى عشر عاماً
فى صحبة أمير الشعراء

سيدى الدكتور رئيس تحرير مجلة « أبولو »

أأشكرك أم أعاتبك ؟

أبت همتك الجبارة أن ترحم ضعيفاً مثلى فى ظرفٍ طار فيه لبه بدداً ، وحار فكره فزعاً ، فطلبت الىّ كلمة عن مولاى فى وقتٍ ليس ببسير علىّ فيه غير الجزع الذى عطل الذاكرة الا من أسبابه .

ومرت الأيام وما كنتُ بسبب هذه الحالة لك وفياً ، فحسبتَ ضعفى علىّ ذنباً وعددته جرماً ، والله يعلم أنى ما أذنبت ولا أجرمت وما كنت الا لرحمتك وتسامحك أهلاً .

عدتُ الى ذاكرتى استنجدها منك واليك فاذا هى تطالعنى بنباريس ذات هالات وأضواء ، أو هى أشعة من النور تقابل أشعة السماء ، وما كانت هذه الاشعة والاضواء الا سجايا مولاى أمير الشعراء .

فقد وعى رحمه الله فضائلَ الامم فى صدره وأبرزها عرائس حكمة وأخلاق ، ثم زفها الى عصره فاذا هى ثمرة الدهور وخلاصة الحكم فى كل العصور .

فاذا كنتَ ياسيدى الدكتور تريدنى أن أتكلم عما أعرفه من نواحى العبقرية فى مولاى وهى كما تعلم أنت ويعلم كل المعاصرين واسعة الأرجاء متعددة النواحى بعيدة الأطراف ليس من اليسير أن يُطاف بها فى كلمة قصيرة وانما يكون ذلك اذا فسح لنا الوقت فى كل ما يتطلبه الانصاف لهذه العبقرية الفذة فى التاريخ وأفسحتَ لنا جانباً من كرمك فى صحفك .

أما اذا كنتَ ياسيدى تريدنى أن أتكلم على ناحية خلقه العالى الرفيع فوالله لقد لازمتُه ملازمةَ الظلّ فلم أقع منه فى سرٍّ ولا فى جهرٍ على ما ينفر الذوق المكلل ويشمئز منه الطبع السليم .

احمد افندى عبد الوهاب

فقد كان رحمة الله عليه عفّ اللسان نقيّ الضمير وديع القلب مؤدب الظاهر والباطن باراً بأهله . كثير الحدَب على الضعفاء والمساكين ، فما رأيتُه عبس فى وجه على ندرة ذلك جداً حتى أسرع الى استرضائه واستمالة قلبه ، وما رأيته الا مبتسماً يبعث النصح فى غير عنف فيقوى به الضعفاء ويثبت الاقوياء . أما قوله فلم يك قاصراً على ما يسطر فى صفحات الكتب وما يدبج فى القصائد . كلا ! وانما كان له فى مجالسه الخاصة ما تتشنف به الآذان وتتحلى به الأجياد وتسطره على شغافها القلوب .

ولن يفوتنى أن أختم كلمتى القصيرة هذه بشكر حضرات اعضاء (جمعية ابولو) على ما قاموا به نحو فقيدنا العظيم ، وأعد حضرة رئيس تحرير مجلتها بالعودة اليه بكلمات فى الاعداد القادمة اذا تقبل عذرى الحاضر ووعدى القابل ؟

احمد عبد الوهاب

* * *

من مذكراتى عن الفقيد

﴿ فى ميدان البرج ببيروت ﴾

كنتُ ومولاىَ فى بيروت سنة ١٩٣٠ وفى صباح يوم من أيام شهر يولية حبّب إليه أن يجلس فى قهوة تجاز بميدان البرج . ولم نكد نأخذ مجلسنا حتى طلع علينا رجلٌ يهبّ الزهوُ من أرداته ونكاد نلمس الغرور متورماً فى أوداجه ؛ وأبى هذا المخلوق إلا أن يأخذ مكانه على منضدة بقرب التى نجلس إليها ، ولم يستقر بهَ الجلوسُ حتى أطلق يديه بالتصفيق الصاخب حتى إذا جاء الجرسون أمره فى غلظة وخشونة باستحضار أرجيلة « شيشة » ! فاسترعى هذا الرجل وحركاته ونبراتُ صوته الجافة انتباه مولاىَ الذى كان يخيل إلىَّ ساعتئذٍ أنه يتأهب للنظم . فالتفت إلى وقال : يظهر أن هذا الرجل « سارق امرأة » ! قلت : وكيف ذلك ياسيدى ؟ قال : لأنى رأيته يشبه الرجل الذى سرق امرأته ؟ ثم ابتسم وقال : كنت هنا من عامين وكان معى سليمان افندى فوزى صاحب الكشكول والاستاذ عبد الوهاب فدعانا أحدهم لزيارته فى قريته الواقعة فوق الجبل ووعدنا أننا إذا زرناه سيشنف آذاننا بسماع صوت امرأة حسنة الصوت ، وزاد فى ترغيبه لنا فقال : وهى المرأة التى سرقها زوجها الحالى من زوجها الأول وفرَّ بها من السودان عائدين الى بلادهما الأصلية وهى لبنان ، فكل هذا من أجل صوتها !

فرغبنا طبعاً فى سماع هذه المرأة المسروقة وفى سماع هذا الصوت الذى يغرى على سرقة امرأة من زوجها ! وفعلا ذهبنا الى زيارته وسمعنا المرأة ، وكان صوتها لا بأس به وإن كان لا يبعث على سرقتها ! وليس فى كل هذا شىء ، ولكن الأمر العجب هو أن المرأة كانت تغنى احدى قصائد « الشوقيات » ، فقال أحد رفاقنا : انها لطيفة الذوق باختيارها هذه القصيدة تحيةً لصاحب « الشوقيات » .

وحصل أنها أخطأت فى الالقاء خطأ أمّياً فالتمسنا لها العذر وعزوناه الى الملحّن الذى حفّظها .

وبعد انتهائها من الغناء جاءت الى جانبنا فسألها أحد أصحابنا : من الملحن ؟ فقالت : « ابن عمى » تريد زوجَها ، فعجبنا ! فسألها آخر : ومَن المؤلف يا ترى ؟ فما كان أشدَّ دهشة رفاقنا حين أجابتهم : وأيضاً إبن عمى هو المؤلف !

﴿ شوقى بك فى أواخر عمره ﴾

صورة تذكارية بين صديقه الموسيقار محمد افندى عبدالوهاب

(عن يساره) وسكرتيره الخاص احمد افندى عبدالوهاب (عن يمينه)

وكان زوجها آخذاً كرسيَّه فى ناحية من الحجرة الى نسمر فيها جالساً عليه جلسةَ الزهو والفخار ، فسأله أحد الصحاب قائلا : هل هذه القصيدة من تأليفك ياسيدى ؟ فما كان منه إلا أن ألقى برأسه الى الخلف ونفث كلَّ ما فى فمه من دخانِ النرجيلة وهزّ برأسه أى نعم !

فالتفت إلىَّ صاحبى لفتةَ المتعجّب ! فقلت : إنه ليس ببعيد على سارق امرأة أن يسرق قصيدةً !

احمد عبد الوهاب

(هذه البنذة الشائقة من مذكرات احمد افندى عبد الوهاب عن المرحوم شوقى بك تنم عن قيمة هذه المذكرات من الوجهتين الأدبية والتاريخية . وستشمل بين محتوياتها العديدة آراء الفقيد فى بعض رجالات مصر وسوريا ، ورأيه فى خطته السياسية والوطنية ، ونظرته فى مؤهلات الزعامة ، ورأيه فى نقد خصومه ، وكيفية نظمه الشعر وأوقات ذلك ، مع صور عديدة له وقصائد لم تنشر من قبل . وسنعلق على هذا التأليف الشائق بعد صدوره وبعد اطلاعنا عليه — المحرر) .

﴿ شوقى بك فى شيخوخته ﴾

جالساً فى إحدى شرفات كرمة
ابن هانى بالجيزة